الياس لحود

ركاميات الصديق توما (*)

(١) العائد من الركام

جميل أن تغرق في حبّك حتى الشفتين
وجميل ان تتحدث يوما ان امرأة كانت تهواك
تدفن رأسك في احزان المقهى
وتبوح كطير في زاوية الصيف
تبوح بأن القلاق الشتويّ يحرّك جثّته بالعشق
ويرقصها فوق الاشواك
تدوس اغانيك الاقدام
وتعوي في جلدك اقوال الناس :
ـ بسعر الاوكازيون اخذت الفستان العسلي
ـ مساء في مقهى الاخوان اراك
... ـ ارى ان نأخذ تاكسي
ونعال الافئدة لها سعر مرتفع ،
كانون يشكو من اسهال هذا اليوم
ـ هل أعجبك الشاري ؟
نصف مباني الحيّ هياكل عظميه
أعقدت قران الشقة ؟
اني استأجر قبرا مفروشا
في حي الشقق المفروشه
ـ وانا علّبت امرأتي
خشية ان تسرقها زمر من نقط استفهام
وجميل ان تتحدث يوما ان امرأة كانت تهواك
وان شراعك في بحر الايام ..

*

(٢) توما يسكر من التاريخ

في كل مساء يرجع توما
يأخذ صورتها من قائمة الاشجار
يعصرها في الكأس ويشربها
(يعلّقها في القبو .. يسمّر باب القبو)
ويرجع توما ... كل مساء
أما الآن فبوم العرس يغنّي
أطرب موت
والذئب يراقص ذئبا منقوشا بالدم
احذية بالية فوق جوارب توما
احذية بالية فوق شوارب توما
يذرفها في الكف ويشربها
كل مساء كان كعادته يتقدم توما
يفتح باب القصة .. يكرع كأسا من صورتها
ثمّ ينام ..

*

(٣) فصول من تحولات مريانا

كل صباح كان الدوري الغافي
يسلح من اعلى القرميد على جبهة « مريانا »
صارت مريانا تستهلك ابصار الناس على نهديها
وعلى ردفيها المضغوطين بعرض السوق
تتذكر دفء الكوسى ،
وفحيح الموز الصومالي ، وحين رماها توما
فوق الثوب وجلد الكبش
تؤوب من المرآة الى المرآة
من شبّاك المقبرة الغربيّ
الى نافذة الجزّار الشرقي
وتهبط سلّمها .. وتضيع
في السوق تصادف مريانا
بيّاع الخبز ودكان الصرّاف
(والصراف بدين يبلع كرشا ان ابصرها)
تنظر صورتها في واجهة الالعاب :
بأن الرأس طويلا والساقان .. فعادت
اصبع توما لا تبرح في جرح الشمس
او في جرح في دمعة طفل تابعها

(*) ملاحظة من التحرير : رغبنا الى الشاعر ان يقدم الى القاريء بعض مفاتيح هذه القصيدة . انظر « مفاتيح قصيدة » في مكان اخر من هذا العدد .

حين اخترقت قصتها وتوارت ...
وتؤوب من المرآة الى المرآة
من الفستان الزهري .. الى المرآة الحجريه
تبلع شيئا لا يبرد في الصيف
ولا يطفأ الا
ساعة يختل الماء وينبع كالدمع المحروق
تنزل كالجمر من الاثواب التحتية
تدخل عارية عارية بفراش مسروق
وتراقب في السقف المجدور حراكا ما
او صوتا ما
تبصر في الحائط صورتها في قبّعة القش
تتحسّس شيئا بأناملها
قالت مريانا قبل النوم .. ونامت :
ما من احد يسكن غرفة مريانا
ما من احد يترصّد غرفة مريانا ..

*

(٤) بطولات البورجوازي الكبير

وجميل ان تتحدث يوما.
ان الرجل الضخم افترس امرأة
وحمارا واغتصب البقرة
واقام الارض واقعدها فوق الكرسي الهزاز
(او فوق الخازوق الهزّاز)
تقول بأن الرجل الضخم استرخى بعد قليل في قبّعة الجوخ
وجاء الولد الراعي واستدعى الحراس
تقول اخيرا ان القصة من تأليف الراوي ..

*

(٥) السقوط من التاريخ الى التل

يعطي عمال التنظيفات قصائده ..
يمنح عمال الترميمات المنسابين من الحرب الخضراء
مجلات الادب العربيّ
قواميس الغزل العربيّ
ويفطس في الشعر العربي ..
هنا .. لا بدّ من الاكثار من البيض الطازج
يشرب بيضته الاخرى
يتعرّى
يسحب هيئته من قبر حبيبته وينام
ويمشي ..
ينام ويرقص ملحمة حمراء
يجوع ويبصر بياعا للكعك وبعض رئات الزعتر
يدركه الحرس الليليّ
.. هنا لا بد من الجري المتقاطع بين الجرافات
يفيق ويجلس في زاوية المقهى
يتذكّر طعم الناس ويفقد شهوته وينام
ويمشي
يمسكه الشعر من الاذنين ويسحبه كالشعرة
يفتح صدر صديقته وينام على قارعة الحب ..
يكسر بيضته العشرين ويشربها
ويطل ليبصر كف حبيبته ملقاة تحت الارجل
يتناولها
ينقلها فوق الكتفين الى الغرفة
يرسو افقيا ..
وعموديا
يتناول قهوته المرة وصديقته وقشور البيض
ويخرج في الحزن المكسور الى الشرفه

*

(٦) ركاميات الالوف الستة

نوبا ، نوبا .. سراميكا نوبا نوبا
سراميكا
قصر الاحلام الشتويّ ،
كما يرمقه خوفو يرقص كالهرم المقلوب ،
آمون اليابس يعطي « درسا في التشريح »
على جثّة خوفو ،
خوفو ينزع شعر الساقين على مرأى آمون
على جثة خوفو تسقط اوراق البردي ..
جثث مختاره
بين الخيط الدموي الاول .. والاخر من ثوب الخبز،
خبز الثوب المثقوب ،
قصر الحمراء ،
ملوك الاندلس ــ الساحات بلا زرياب
درس في التشريح
و « دورة نصف الليل » على جسد « السيّاب »
اعشاب تنبت في جسد الاسفلت البارد
نوبا
سراميكا نوبا نوبا نوبا نوبا نوبا
نوبا .. نوبا نوبا .. نو .... با

هرم المدرسة الثالثة المقلوب
سراميكـا
نوبا نوبال ـ غداء فوق العشب ـ
دمار الكنج وزهرة فولغـا التايبر
« غداء فوق العشب » ـ تزارا تزارا تزارا
« هوغوبال » عشاء فوق الهرم الاكبر
ازهار النيلوفرتيتي / عرق بين العمال /
غوبا بيروت .. سراميكا نوبا نوبا نوبا نووووبـا

*

(٧) وليمة التمرد الاسود

كان الزوج الداعي يشرب بيضا وحليبا
ونبيذا قبل العرس
يقضم لوزا وزبيبا .. وينام طويلا
كان البيض الطازج يدعى
بعد فكاهات « بيض الازواج »
كانت مريانا تطلب من توما في كل مساء خميس
موزا صوماليا وثلاثة ازواج من بيض الازواج
توما كان يحب الكوسى ومحاشي الملفوف
توما عاد يحب شقيقة مريانا والتمر الاسود
وبيض ديوك الحي ، وتومـا
لم يشبع يومـا من بيض ديوك الحي
يقول لزمرته في المقهى الرسمي بأن دجاج الناس كثير
وديوكهمو شحّت ...
ادرك ان فراغا ما يسمعه
اقفل فكيه ليقول « بأن الشح بدا
في بيض ديوك تأكل اكثر مما تعطي »
وتردّد زمرته علنا :
ما اطيب لحم الديك البلدي وما اقساه
كانت مريانا تسمعهم
وتلفّ على الاذنين عباءتها وتحاول ان تشبع ..

*

(٨) مريانا المنتحر بفاطمـة

في مثل صباح اليوم انتحرت
ابصار الجيران على فخدي مريانا
كانت تنزع ليلهما حين انكسرت واجهة الدرب
ولم تبصرها مريانا سمعت حقدا يأتي
يتفجر كالعادة حول الضوء القاتم /
في مثل مساء اليوم انتحرت فاطمة بالموز المسموم
قالـوا ان غريبا دسّ الموز لها ..
سرقت جثتها مريانا من باب الغرفه
لبست قصتهـا
وهبتها الفستان العسليّ وقصتها الشهريه
صارت مريانا فاطمة عارية حول المرآة
.. لاحت كالفل الجائع بعد رماد الصيف
عاشت كالورد الطالع بين ركام الابنية المهدومه
حيث يغيب البحر الذابل
غابت « مريانا » في غمد السيف
قالوا ان غريبا دس لها الموز المسموم

*

(٩) « الله » ، « الآذان » ، « الاصابع »

كان يحوز على مجموعة اختام وطوابع
.. صار يحوز على مجموعة آذان واصابع
وله افكار معلوفـه
« غارنيكـا » مائلة في الحائط والشارع ..
في السحب المعقوفـه
« زاهي » عاش قبيحـا
يلعب في اسطبل عواطفه بأكف الناس
ويستنفهم باقات باقات
في اقبية التاريخ يدبدب فوق محاجرهم ويغني
يشرب كونياكا يصهل حول مدامعهم ..
كصهيل دم يتناسل في ارغفة المسحوقين يغني
ويقهقه كالصمت
واجمل ما فيه زوجته « بولا » وحذاءاه
ابصره تومـا فدعاه
ان يشرب كأسا في ملحمة القصّاب
اتباطأ تومـا في مقبرة الليل وعاد على كفيه
صهيل الكأس واصوات مقطوفه ..

*

(١٠) من وحي الصحراء (السراب ، الجرباء)

وانا اتحدّى صمت الصحراء المسعور مررت بتوما
كان حزينا يلعن فاطمة .. يلبس كبوتا مزدوجا
ويدخن غليونا ويقول بأن امرأة كانت تهواه

وهو الآن على قارعة الموت بركب الشحّادين
يركب في كفيه كلامـا
يلبس منطادا منهوبا ..
وشبيهـا بسراب عاشت تنزفه مريانا

*

(١١) انا والوالي السامي

انا والبحر صديقان قديمان

يقول الطفل البحريّ :
ـ انا ابصرت حمارا يستفرغه زبد الموج

ويجيب الشيخ الرمليّ :
ـ انا ابصرت حمارا يستفرغه زبد الموج .

يقول الطفل البريّ :
ـ حمار البحر رآني استفرغ نارا وتراب

ويجيب الشيخ البحريّ :
ـ حمار البحر رآني استفرغ نارا وتراب

انا والبحر صديقان قديمـان /

رأيت البحر يقوم ويهمس في أذني :
افتح لي صدرك ـ عفوا عندي شيء ان يسمعه الوالي
قطعني ورمـانـي فيـك ـ
انا والوالي نشبه قطّ البيت وفأر القبو انا
والوالي نشبه كلب الحي وقطة جارتنـا البدويـه
يشبه توما رتلا من اعمدة الهاتف حين يعود صباحا
بعد قليل افقـد مرساتي ولساني وشراعي
فـي الريح الساميّه
وأدور كما يبرم صوفيّ في رمل الفضروف ..
ان يطلبنـي تومـا
انس على طاولة الاكل حذاءي الموروثين بمجد
عن جد العائلة /الآن انا نسخة جدي المهداة
الى ملك البيزنط ، ولكنـي
أعقد صلحا مفتوحا مع راقصة البار الغربيّ علـى
مفرق اشلائي

وان تطلبني (فاطمة) / مريانا
انسَ ثياب النـوم
واركض في زاروب العصر كانسان أول
يتصبى قمر الدرب على (فاطمة) وهي تحنّي قدميها
وتغنـي

تسمع اقدام قاتمة في الخارج
يسقط دوري حين يمسّ شريط الهاتف
يسقط صوت واقف

*

(١٢) ملاحظات وهوامش

في جسمه الصدفي،منغلقا ومنفتحا على غرف الدخان
مرّت بتومـا صورتـان
حمامة في علبة البيّاع قائمة
وديك اخضر العينين فوق دجاجة الجيران
يقفز من اعالي السلّم المنصوب ..
صار يصبّ نقمته ويشرب
كل طاولة تزيد عن الطعام تباع للنجّار قال
نبيع في نيسان موسمنا الجديد
ونلتقي بالزهر حين نعود ..
اعطى المارقون جباهنا للوحل ساعة امطرت لهبا
وأدمت في السهول ثيابنا
كالشوك موسمنا يبور .. اذا التراب صفى
تصدّق عاشق منـا
وبلله بدمع القلب او اعطاه جلد جبينه القاسي
ليمسح ما يهلّ من الدموع
يعودنا نيسان مثل قصيدة ظمأى ترفّ على الضلوع
ومـا زرعنـا
غير اسواق الرمادتحوفها الغربان هائمة من الصحراء
صوت الشمس مخنوق
صوت حمامة البيّاع مخنوق
وصوت الديك مخنوق بأشلاء الظلام
ولا يرى توما سوى ساقيه مستوفين في رجم الركام

بيروت (٢٠ نيسان ١٩٧٧)
(الياس لحود)